وهرب باقيهم، فمنهم من أدرك وقتل، ومنهم من أفلت واختفى، ودامت السعاية بهم والطلب لهم، وخافوا على فيثاغورس القتل، فأفردوا له قوماً منهم واحتالوا له حتى أخرجوه من تلك المدينة بالليل، ووجهوا معه بعضهم حتى أوصلوه إلى قاولونيا، ومن هناك إلى لوقروس، فانتهت الشناعة فيه إلى أهل هذه المدينة، فوجهوا إليه مشايخ منهم فقالوا له أما أنت يا فيثاغورس فحكيم فيما نرى، وأما الشناعة عنك فسمجة جداً، لكنا لا نجد في نواميسنا ما يلزمك القتل ونحن متمسكون بشرائعنا، فخذ منا ضيافتك ونفقة لطريقك وارحل عن بلدنا تسلم، فرحل عنها إلى طارنطا، ففاجأه هناك قوم من أهل قروطونيا فكادوا أن يخنقوه وأصحابه، فرحل إلى ميطابونطيون، وتكاثرت الهيوج في البلاد بسببه حتى صار يذكر ذلك أهل تلك البلاد سنيناً كثيرة، ثم انحاز إلى هيكل الأسنان المسمى هيكل الموسن فتحصن فيه وأصحابه، ولبث فيه أربعين يوماً لم يغتذ، فضربوا الهيكل الذي كان فيه بالنار.

فلما أحس أصحابه بذلك عمدوا إليه فجعلوا في وسطهم وأحدقوا به ليقوه النار بأجسامهم؛ فعندما امتدت النار في الهيكل واشتد لهبها، غشي على الحكيم من ألم حرارتها ومن الخواء فسقط ميتاً، ثم أن تلك الآفة عمتهم أجمعين فاحترقوا كلهم، وكان ذلك سبب موته، وذكروا أنه صنف مائتين وثمانين كتاباً، وخلف من التلاميذ خلقاً كثيراً، وكان نقش خاتمه شر لا يدوم خير من خير لا يدوم، أي شر ينتظر زواله ألذ من خير ينتظر زواله، وعلى منطقته الصمت سلامة من الندامة، من آداب فيثاغورس ومواعظه، نقلت ذلك من كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم، للأمير محمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك، قال فيثاغورس كما أن بدء وجودنا وخلقنا من اللّه سبحانه، هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة إلى اللّه تعالى وقال الفكرة للّه خاصة فمحبتها متصلة بمحبة اللّه تعالى، ومن أحب اللّه سبحانه عمل بمحابه، ومن عمل بمحابه قرب منه، ومن قرب منه نجا وفاز، وقال ليس الضحايا والقرابين كرامات اللّه تعالى ذكره، لكن الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكرمته، وقال الأقوال الكثيرة في اللَه سبحانه علامة تقصير الإنسان عن معرفته، وقال ما أنفع للإنسان أن يتكلم بالأشياء الجليلة النفيسة، فإن لم يمكنه فليسمع قائلها، وقال احذر أن تركب قبيحاً من الأمر لا في خلوة ولا مع غيرك، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد، وقال ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال وانفاقه في مثله، وقال إذا سمعت كذباً فهون على نفسك الصبر عليه، وقال لا ينبغي لك أن تهمل أمر صحة بدنك لكن ينبغي القصد في الطعام والشراب والنكاح والرياضة، وقال لا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحرية، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها، وقال كن متيقظاً في آرائك أيام حياتك، فإن سبات الرأي مشارك للموت في الجنس، وقال ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن

تخطره ببالك، وقال لا تدنس لسانك بالقذف، ولا تصغ بأذنيك إلى مثل ذلك، وقال عسر على الإنسان أن يكون حراً، وهو ينصاع للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة، وقال ليس ينبغي للإنسان أن يلتمس القنية العالية، والأبنية المشيدة، لأنها من بعد موته تنتقي على حدود طباعها، ويتصرف غيره فيها، لكن يطلب من القنية ما ينفعه بعد المفارقة والتصرف فيها، وقال الأشكال المزخرفة، والأمور المموهة، في أقصر الزمان تتبهرج، وقال اعتقد أن أس مخافة اللّه سبحانه الرحمة، وقال متى التمست فعلاً من الأفعال فابدأ إلى ربك بالابتهال في النجح فيه، وقال الإنسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح أن يكون صديقاً وخلاً، احذر من أن تجعله لك عدواً، وقال ما أحسن بالإنسان أن لا يخطئ، وإن أخطأ فما أكثر انتفاعه بأن يكون عالماً بأنه أخطأ، ويحرص في أن لا يعاود، وقال الأخلق بالإنسان أن يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي، وقال ينبغي أن يعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام.

والوقت الذي يحسن فيه السكوت، وقال الحر هو الذي لا يضيع حرفاً من حروف النفس لشهوة من شهوات الطبيعة، وقال بقدر ما تطلب تعلم، وبقدر ما تعلم تطلب، وقال ليس من شرائط الحكيم أن لا يضجر، ولكن يضجر بوزن، وقال ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل، ولكن الحكيم من حمل عليه أكثر مما تحتمل الطبيعة فصبر، وقال الدنيا دول، مرة لك وأخرى عليك،و فإن توليت فأحسن وإن تولوك فَلِن، وكان يقول إن أكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام، وتعرض للإنسان من قبل الكلام، وكان يقول من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا يزل به المكروه كما يزل بغيره العجلة واللجاجة والعجب والتواني، فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجب البغضاء، وثمرة التواني الذلة، ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن في كلامه فقال له إما أن تتكلم بكلام يشبه لباسك أو تلبس لباساً يشبه كلامك، وقال لتلاميذه لا تطلبوا من الأشياء ما يكون بحسب محبتكم، ولكن أحبوا من الأشياء ما هي محبوبة في أنفسها، وقال اصبر على النوائب أذا أتتك من غير أن تتذمر، بل اطلب مداواتها بقدر ما تطيق، وقال استعملوا الفكر قبل العمل، وقال كثرة العدو تقلل الهدوء، وكان فيثاغورس إذا جلس على كرسيه أوصى بهذه السبع الوصايا قوِّموا موازينكم واعترفوا أوزانها؛ عدلوا الخط تصحبكم السلامة؛ لا تشعلوا النار حيث ترون السكين تقطع؛ عدلوا شهواتكم تديموا الصحة؛ استعملوا العدل تحط بكم المحبة؛ عاملوا الزمان كالولاة الذين يُستعملون عليكم ويُعزلون عنكم؛ لا تترفوا أبدانكم وأنفسكم فتفقدوها في أوقات الشدائد إذ أوردت عليكم، وذُكر المال عنده ومدح فقال وما حاجتي إلى ما يعطيه الحظ، ويحفظه اللؤم، ويهلكه السخاء، وقال وقد نظر إلى شيخ يحب النظر في العلم ويستحي أن يُرى متعلماً يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل منك

في أوله؟ وقال أنكى شيء لعدوك أن لا تريه أنك تتخذه عدواً، وحضر امرأته الوفاة في أرض غربة، فجعل أصحابه يتحزنون على موتها في أرض غربة فقال يا معشر الإخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق، وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحد من جميع النواحي، وقيل له ما أحلى الأشياء؟ فقال الذي يشتهي الإنسان، وقال الرجل المحبوب عند اللّه تعالى الذي لا يذعن لأفكاره القبيحة، ونقلت من كتاب فرفوريوس في أخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم قال وأما كتب فيثاغورس الحكيم، التي انفرد بجمعها أرخوطس الفيلسوف الطارنطيني فتكون ثمانين كتاباً، فأما التي اجتهد بكلية جهده في التقاطها وتأليفها وجمعها من جميع الكهول الذين كانوا من جنس فيثاغورث الفيلسوف وحزبه وورثة علومه رجل فرجل.

فتكون مئتي كتاب عدداً فمن انفرد بصفوة عقله وعزل منها الكتب الكذيبة المقولة على لسان الحكيم واسمه التي اختلقها أناس فجرة، وهي كتاب المناجاة، وكتاب وصف المهن السيئة، وكتاب علم المخاريق وكتاب أحكام تصوير مجالس الخمور، وكتاب تهيئة الطبول والصنوج والمعازف، وكتاب الميامر الكهنوتية، وكتاب بذر الزروع، وكتاب الآلات، وكتاب القصائد؛ وكتاب تكوين العالم، وكتاب الأيادي، وكتاب المروءة، وكتب أخرى كثيرة تشاكل هذه الكتب مما اختلق حديثاً؛ فيسعد سعادة الأبد، وقال وأما الرجال الأئمة الذين اختلقوا هذه الكتب الكاذبة التي ذكرناها فإنهم على ما أدت إلينا الروايات أرسطيبوس المحدث، ونقوس الذي كان يكنى عين الناقص، ورجل من أهل اقريطية يقال له قونيوس، وماغيالوس، وفوخجواقا مع آخرين أطغى منهم، وكان الذي دعاهم إلى اختلاق هذه الكتب الكاذبة على لسان فيثاغورث الفيلسوف واسمه، كي يقبلوا عند الأحداث بسببه فيكرموا أو يؤثروا ويواسوا، فأما كتب الحكيم التي لا ريب فيها فهي مائتان وثمانون كتاباً، وقد كانت منسية، حتى جاء للكيان بقوم حكماء ذوي نية وورع فحصلوها وجمعوها وألفوها، ولم تكن قبل ذلك مشهورة ببلدة لكنها كانت مخزونة في إيطاليا، وقال فلوطرخس أن فيثاغورس أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم، ومما يوجد لفيثاغورس من الكتب كتاب الإرثماطيقي؛ كتاب الألواح، كتاب في النوم واليقظة؛ كتاب في كيفية النفس والجسد، رسالة إلى متمرد صقلية، الرسالة الذهبية وسميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً وكان يواظب على دراستها وقراءتها في كل يوم؛ رسالة إلى سقايس في استخراج المعاني، رسالة في السياسة العقلية وقد تعاب هذه الرسالة بتفسير أمليخس؛ رسالة إلى فيمدوسيوس.

22سقراط

قال القاضي صاعد في طبقات الأمم أن سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس، اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها، وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤسائهم بالحجاج والأدلة الإلهية فثوروا العامة عليهم واضطروا ملكهم إلى قتله، فاودعه الملك الحبس تحمداً إليهم، ثم سقاه السم تفادياً من شرهم، ومن آثاره مناظرات جرت له مع الملك محفوظة، وله وصايا شريفة، وآداب فاضلة، وحكم مشهورة، ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس وبندقليس، إلا أن له في شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة، وقال الأمير المبشر بن فاتك في كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم معنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل، وهو ابن سفرونسقس، ومن ولده ومنشأه ومنبته بأثينية، وخلف من الولد ثلاثة ذكور، ولما ألزم التزويج على عاداتهم الجارية في إلزام الأفاضل بالتزويج ليبقى نسله بينهم، طلب تزويجه المرأة السفيهة التي لم يكن في بلده أسلط منها، ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها، ليقدر أن يحتمل جهل العامة والخاصة، وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغاً أضر بمن بعده من محبي الحكمة، لأنه كان من رأيه أن لا تستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك، ويقول أن الحكمة طاهرة مقدسة، غير فاسدة ولا دنسة، فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلا الأنفس الحية، ونتزهها عن الجلود الميتة، ونصونها عن القلوب المتمردة، و لم يصنف كتاباً ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس؛ وإنما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير، وتعلم ذلك من استاذه طيماتاوس فإنه قال له في صباه لم لا تدعني أدوِّن ما أسمع منك من الحكمة؟ فقال له ما أوثقك بجلود البهائم الميتة، وأزهدك في الخواطر الحية هب أن إنساناً لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم، هل كان يحسن أن تحيله على الرجوع إلى منزلك، والنظر في كتبك؟ فإن كان لا يَحْسُن فالزم الحفظ، فلزمها سقراط، وكان سقراط زاهداً في الدنيا قليل المبالاة بها، وكان من رسوم ملوك اليونانيين إذا حاربوا أخرجوا حكماءهم معهم في أسفارهم، فأخرج الملك سقراط معه في سفرة خرج فيها لبعض مهماته، فكان سقراط يأوي في عسكر ذلك الملك إلى زير مكسور يسكن فيه من البرد، وإذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفئ بالشمس، ولأجل ذلك سمي سقراط الحب، فمر به الملك يوما وهو على ذلك الزير فوقف عليه، وقال ما لنا لا نراك يا سقراط، وما يمنعك من المصير إلينا؟ فقال الشغل أيها الملك، فقال بماذا؟ قال بما يقيم الحياة، قال فَصِر إلينا فإن هذا لك عندنا معد أبداً، قال لو علمت أيها الملك أني أجد ذلك عندك لم أَدَعْه، قال بلغني أنك تقول أن عبادة الأصنام ضارة، قال لم أقل هكذا قال فكيف قلت؟ قال إنما قلت أن عبادة الأصنام نافعة للملك ضارة لسقراط، لأن الملك يصلح بها رعيته ويستخرج بها خراجه، وسقراط يعلم أنها لا تضره ولا تنفعه؛ إذ كان مقراً بأن له خالقاً يرزقه ويجزيه بما قدم من سيء أو حسن، قال فهل لك من حاجة؟ قال نعم، تصرف عنان دابتك عني فقد سترتني